وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة ابو بكر بلقايد - تلمسان
كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية

الإنسان والمجتمع

مجلة دورية مُحَكَّمة تصدرها كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية

ـــــــــ ممّا تطالعونهُ في هذا العدد ـــــــــ

- اعتبار خوارم المروءة في عدالة رواة الحديث
- ترجمة الشعر الأندلسي إلى اللغة الإسبانية بين الحرفية والحرفية
- الزخارف الجصية لمدينة سدراته الأثرية بورقلة
- الحرية والتمدن في فكر فرنسيس مراش
- المناهج النقدية في الدراسات الاستشراقية
- مفهوم الإنسان في فكر مالك بن نبي
- الاستهلال والخواتيم في الشعر الشعبي الثوري الجزائري (1954-1962)

العدد الحادي عشر: ديسمبر 2015
رقم الايداع: 2010 - 2902
ISSN: 2170 - 1148

Scanned by TapScanner

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة أبو بكر بلقايد - تلمسان
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية

الإنسان والمجتمع

العدد الحادي عشر/ ديسمبر 2015

مجلة محكمة تصدر عن:
كلية العلوم الإنسانية و العلوم الإجتماعية
جامعة تلمسان
رقم الايداع: 2010 - 2902
ISSN : 2170 / 1148

Scanned by TapScanner

الهيئة العلمية (لجنة القراءة)
Comité scientifique

• أ.د. محمّد بشير • أ.د. علي حمزة شريف • أ.د. عبد الحقّ زريوح
• أ.د. نور الدّين داودي • أ.د. محمّد صالحي • أ.د. بودواية مبخوت
• أ.د. شعيب مقنونيف • أ.د. بلّخضر مزوار • د. بومدين بلختير
• عبد المجيد بلغيث • فايزة مهتاري • د. رابح فيسة
• د. جويدة بن عصمان • عبد المجيد بوجلّة • د. محمّد شوقي الزّين
• ماحي قندوز • أحمد عطّار • ميلود طواهري

الناشر التجاري
كنوز للكتاب
البريد الإلكتروني: kkounouz@yahoo.fr
الهاتف: 07 70332790
الفاكس: 043384060

الرقم الدولي المعياري
ISSN: 2170-1148

Scanned by TapScanner

الفهرس

كلمة العدد	9
اعتبار خوارم المروءة في عدالة رواة الحديث - دراسة نقدية في ضوء تطبيقات المحدثين - د. محمد حاج عيسى - جامعة تلمسان	11
ترجمة الشعر الأندلسي إلى اللغة الإسبانية بين الحَرْفيّة والحِرَفيّة د. عوض بن عبد الله القرني - (جامعة الباحة- المملكة العربية السعودية)	29
الزخارف الجصية لمدينة سدراته الأثرية بورقلة دراسة أثرية فنية د. محمد جودي (جامعة تلمسان)	87
اعتبار خوارم المروءة في عدالة رواة الحديث - دراسة نقدية في ضوء تطبيقات المحدثين - د. محمد حاج عيسى - جامعة تلمسان	111
أهمية مراعاة مقاصد الشريعة الإسلامية في ترشيد الاجتهاد التنزيلي د. رصاع موسى - جامعة محسكر	127
الحرية والتمدن في فكر فرنسيس مراش د. مجدي فارح-جامعة تونس	157
المناهج النقدية في الدراسات الاستشراقية المنهج التاريخي أنموذجا د. إبراهيم زلاّفي - جامعة المسيلة	173
مفهوم الإنسان في فكر مالك بن نبي د. الكبّارعبد العزيز/جامعة تلمسان	185
الخلفيات الاجتماعية والوعي الطبقي للبرجوازية الجديدة في المدن الجزائرية دراسة استكشافية بمدينة مغنية أ.د. العايش عبد العزيز/ جامعة عباس لغرور خنشلة أ. لعلاونة دليلة /جامعة عباس لغرور خنشلة	193
الاتفاقيات الدولية ودورها في مكافحة تهريب المتلكات الثقافية د/براهيمي فايزة -قسم الاثار/جامعة تلمسان	209
العلامة التراثية في الخطاب الإشهاري المغربي، مقاربة سيميائية تداولية (خطاب ميديتيل أنموذجاً) د.جلال خشاب- جامعة سوق أهراس	219
الاستهلال والخواتيم في الشعر الشعبي الثوري الجزائري (1954-1962) - مقاربة تداولية لبعض انماذج – د/ فتح الله بن عبد الله - (جامعة المسيلة)	239

Scanned by TapScanner

المصطلح الصوفي إشكالية التأصيل وحدود التأويل د.طرشي سيدي محمد - كلية الآداب واللغات/ جامعة تلمسان	251
بواكير حركة التأليف في علم الوثائق بالأندلس - البواعث والرواد - د. عبد السلام همال -قسم التاريخ - جامعة المسيلة	261
جودة التكوين في نظام ل.م.د في ضوء المرافقة البيداغوجية للطالب الجامعي -دراسة ميدانية- د.حليمة قادري / جامعة وهران 2 د.بن نابي نصيرة / جامعة الجزائر2	281
الولي والثروة من خلال ترجمة أبي علي سالم القديدي (699هـ/1299م) في معالم الإيمان العيد غزالة/ جامعة تونس	303
استراتيجيات التعامل(الكوبينغ) لدى الحالات الاكتئابية(دراسة عيادية و ميدانية بالمستشفى الجامعي بوهران) د. كبداني خديجة / جامعة وهران 2 محمد بن أحمد	329

Scanned by TapScanner

الاستهلال والخواتيم في الشعر الشعبي الثوري الجزائري (1962-1954)

- مقاربة تداولية لبعض النماذج –

د/ فتح الله بن عبد الله - (جامعة المسيلة)

ملخّص:

يسعى هذا المقال إلى محاولة دراسة نصوص شعرية شعبية ثورية جزائرية، إبّان ثورة التحرير الكبرى – 1954ـ 1962. وقد حاولت الدراسة في هذا المقال أن تعاين النّص الشعري مُرتكِزةً في ذلك على القراءة الداخلية للنّص، دون التقيّد بمنهج محدّد، وإنّما تسعى الإفادة من المناهج التي تراها صالحة إلى إظهار معيارية النّص، والكشف عَن بنائيته في ضوء التفاعل القائم بين أجزائه؛ فكانت الاستهلالات والخواتيم صلب المقال وهدفه. ومن البديهي أن يتوقف المقال عند هذين المحورَيْن، ليخلص إلى بعض النتائج.

كلمات مفاتيح: الاستهلال، الخاتمة، الرسالة، المتلقّي، التداولية، البنية، التأريخ الشعري.

Résumé:

Cet article vise à tenter d'étudier des textes poétiques populaires révolutionnaires algériens, au cours de la Grande Libération Révolutionnaire 19541962-. Cette étude a essayé d'étudier dans cet article le texte poétique basé à la lecture interne du texte, sans se limiter à une approche spécifique, mais cherche à bénéficier du programme qu'èygv elle le voie valide standard pour montrer, et la divulgation structurale à la lumière de l'interaction entre ses parties. Les incipits, les conclusions étaient le profond de cet article et le but. Il est évident que l'article repose sur ces deux axes, pour enregistrer certains résultats.

Mots clefs: l'incipit, la conclusion, le message, récepteur, pragmatique, la structure, chronogramme.

Scanned by TapScanner

:مدخل

أتى على نظام الاستهلال أو البداية أو الاستفتاح حين من الدهر كان يُعنى به في نسج القصيدة وبنائها أيّما عناية؛ فهو المدخل الذي يأخذ الألباب إلى السماع والتفاعل مع القصيدة، بحكم «اللغة نظام من الرموز التعبيرية تؤدي محتوى الفكرة التي تمتزج فيها العناصر العقلية والعناصر العاطفية فتصبح اللغة حدثا اجتماعيا محضا»[1]. ومن هذه الأعراف المتداولة بين الشعراء ما يخص نظام الاستهلال ثم الولوج إلى صلب الموضوع ثم في الأخير نظام الخاتمة.

وكان اختيارنا لثماني قصائد من الشعر الشعبي الملحون الجزائري الثوري - 1954-1962ـ في هذا المقال. والقصائد كلّها مأخوذة من كتاب «المقاومة الجزائرية في الشعر الملحون»[2] لجلول يلس وأمقران الحفناوي. وتجدر الإشارة أنّهما لم يتعرضا لترجمة أيّ شاعر منهم. وأنّنا لم نبد رأينا في كتابتها رغم بعض التحفّظات لأنّ عنوان المقال على خلاف ذلك. وهي:

-1 معركة النسنيسة للشاعر «المدني رحمون» يوم 9/06/ 1957. ص ص 120ـ123.

-2 ثورة التحرير 1954 للشاعر بوزيان، قيلت سنة 1958. ص ص124ـ 125.

3ـ ثورة التحري 1954 للشاعر الحاج أحمد ولد البشير. ص ص 126ـ 128

-4 ثورة التحرير 1954 للشاعر بالعباس محمد (ابن القايد). ص ص 129ـ 130.

-5 ثورة التحرير 1954 للشاعر عبد القادر المعسكري المعروف بـ (العوفي). ص ص 131ـ 133.

-6 سجل لمعارك كثيرة وقعت إبّان ثورة التحرير 1954 للشاعر محمد بالماحي. ص ص 134ـ 141.

-7 ثورة التحرير 1954 للشاعر قزول الميلود. ص ص 142ـ 143.

-8 ثورة التحرير 1954 للشاعر عبد القادر بن شهرة. ص ص 144 ـ 147.

وبما أن الشعر الشعبي فن يمتع، ووسيلة تعبير عن العاطفة الذاتية والأحاسيس الاجتماعية والذاكرة الجماعية؛ فهو من هذه الزاوية يمكن عدّه سجلا حيّا ناطقا لتاريخ الشعب الجزائري ونضاله، بما سجّله من حوادث ووقائع قد أهملها المؤرّخون أحيانا[3]، وقد تتعداهم إلى غير اختصاصهم في مجال العلوم الإنسانية الأخرى.

Scanned by TapScanner

أولا: الاستهلالات:

-1 الاستهلال بمخاطبة المندوب:

في القصيدة الأولى بدأ الشاعر بمخاطبة التاريخ مُشخِّصا إيّاه،ومُوظفا على وجه الخصوص الهوية الوطنية والقومية، طالِبا منه تسجيل كلّ المعارك للأجيال اللاحقة حتى لا تُنسى فتَضيع. ويكون هذا النّمط من المطلع إذا كان المخاطَب (بفتح الطاء) واسع الأطراف بعيد المدى كبلاد الجزائر؛ ويقصد به الشعب الجزائري بالدّرجة الأولى ثمّ العربي ثمّ سائر الشعوب المناهضة للاستدمار.ومثل هذه القصائد كثيرا ما تحمل المعاناة والآلام والأشواق التي يعاني منها الشعب. وما الشّاعر إلا ترجمان وفنّان يصوّر بدقّة متناهية الأحاسيس الاجتماعية بلغة الشّعر الشّعبي محمّلا إيّاهُ أثر الجهد الذّي يكابده المجتمع، إذ يقول الشاعر "المدني رحمون" في مطلع قصيدته[4]:

سَجّلْ يَا تاريخْ لَمْعَارَكْنَا واكْتُبْ للْبَنِينْ ذِكرَى للْأبَاتْ

اشَهْدوا عنّا يا اجيالنا ماذا عَدّينا من الصعوبات

لَلدّين والوطن احْناجَاهدنا كَمَثل الاجْدَادْ في وقت السّدات

في كُلْ الأعمال ربّ ناصْرنا احْنا جُنْدْ لِيهْ سَائر الأَوْقات

نَصْروا مْحقّق بِهْ وَاعْدنا بَالفِعل شَفنا عدّت بَيّنات

2ـ الاستهلال بالعودة إلى التاريخ الحافل بالأمجاد :

هذا النوع من البدايات مثل سابقه ولكن يختلف عنه قليلا ؛ لأنه يتطلّب معرفة التاريخ بدقّة، فيلجأ إليه الشاعر الشعبي لتحفيز النفوس وتذكيرها بالماضي المجيد غير البعيد، وغرس الأمل وتحطيم عقدة الخوف من الاستدمار الفرنسي الذي لا يقهر كما كان يدعيه؛ إذا الشعب أراد النصر فلابدّ أن يلبّي القدر، حيث يقول الشاعر عبد القادر المعسكر بالمعروف بالعوفي[5]:

الابْطال سَلْحوا اطهروا وطَنْ التْكِين مذكور من قْبِيلْ الغْرِيس الجِدار

وطْن العلُومْ من بَكْري والسْلاطين أهل النْفار والزّدْمَة والمَشْوَار

الباي كان والتّايَكْ محْيَ الدّين نَسْل النّبِي جَدّه مُول الدّينار

وطَنْ المحال هذه يا سَامْعِين بْلاَد سلطنَه واهْلْهَا قدار

Scanned by TapScanner

رِيَاسْ قَاصْدِينْ وكد مَنْتَظْمِين جِيشْ لَبْطال رَاهْ طَلْبُه نَقار

ومن خلال سماعك لمطلع القصيدة تدرك أن الشاعر اعتمد على ذكر شخصيات جزائرية بارزة هي رمز البطولة والتضحية والقوة والتمكين، حتّى أصبحوا أساطير أحيانا، ليهزّ نفوس الجامدين المشكّكين والمتخوّفين من النصر المبين. وهذا الدّور من الشّعر الشعبي لا يُستهان به في زرع الأمل ومحاربة الخوف من المجهول والعمل على دعم الثورة معنويا، فهو كالدعاية المضادّة للاستدمار، فالعامل النفسي لا يقلّ أهمية عن السلاح.

-3 الاستهلال بخاطبة الحمام وأمره بتليغ رسالة:

كثيرا ما استعمل شعراء الملحون هذا النوع من البدايات في قصائدهم في الهزل والجدّ. وهذا النوع من الطيور في هذه الحال عنصر سلبي من أبسط دلالته إلى أعقدها:

الحمام في أبسط دلالته ⟵ حنين، حزن، بكاء ...

الحمام في متوسط دلالته ⟵ رمز السلام والأخوة...

الحمام في أعقد دلالته ⟵ ارتباط الحمام بقصّة نوح عليه السلام وبحثه عن الأرض اليابسة...(الحل).

ويوظّف للتعبير عن «الجو النفسي الذي يسيطر على الشاعر، ولهذا يلجأ إليه حين يتعلّق الأمر بمحنة يعانيها أو حنين إلى الوطن، والأحباب يفسد عليه راحته...»[6]. وفي هذا يقول الحاج أحمد ولد البشير[7]:

يا قمْرِي زرقْ الجنحين يا الفياد ليك نكتب هذا العنوان روح واديه

سلم اعلى ناس الجبهة اقراب وابعاد اولاد الجزائر واحد لا اتخليه[8]

قيلك امن البياع اعطي ليه الابعاد لا اتوري أمرك سرك لا اتوريه

-4 الاستهلال بالبسملة والصلاة على النبي -صلى الله عليه وسلم-وأصحابه:

لعلّ هذا النوع من الاستهلال هو الغالب على القصائد الشعبية إطلاقا - حسب علمي - لأن فيه ما ليس في غيره من البدايات؛ منها البسملة ونعني بها لفظ «بسم الله» وليس «بسم الله الرحمن

Scanned by TapScanner

الرحيم»، لما جاء فيه من الأحاديث النبوية، منها على سبيل المثال قوله ـ صلى الله عليه وسلم: ـ»كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بباسم الله فهو أقطع» [9]. وفي رواية فهو أبتر، وفي رواية فهو أجذم. ومنها الصلاة على النبي – صلى الله عليه وسلم – ومفادها البركة والخير والجدّ، ولا تجتمع مع البسملة في شعر أو نثر إلا زادت عن ذلك الاتصال؛ ونقصد به نظرية الاتصال، حيث الباث وهو الشاعر والمتلقي وهو السامع ـ فردا كان أو جماعة ـ والرسالة وهي القصيدة. والسامع لابد أن يصلي على النبي حين سماعه فيؤسس العملية الاتصالية [10]،وفي الآن نفسه يجسّد مبدأ التداولية [11]. وإذا تمعنّا في الأمر قد تبدو القصيدة الشعبية الثورية كالخطبة للإمام الذي يستهلّها بالنطق بالشهادتين أمام المصلين؛ إذ الشاعر يرمز للشهادتين بالبسملة والصلاة على النبي -صلى الله عليه وسلم -وهذا يعني أيضا أنّ الشاعر يفرض على نفسه تقديم الهوية الدينية ليطمئنّ إليه السامع -أركّز على لفظ السامع في المحاضرة كلّها لكون القصيدة الشعرية الشعبية تروى مشافهة أصلا ، أمّا التدوين فمسألة أخرى ليس ههنا موضوعها - ومن ثمّ كان هذا النوع الأكثر انتشارا حتّى أكاد أزعم أنّه لا يخلو شاعر من الشعراء الشعبيين إلا نحا هذا النحو من الاستهلال.

ومنها الدعاء بالرضي على صحابة الرسول – صلى الله عليه وسلم – وفي ذلك كناية لما أصابهم من أذى وعذاب من لدن المشركين،لا يقلّ جرمًا ما لاقاه الشعب الجزائري، ورغم ذلك صبروا – رضي الله عنهم أجمعين – وصبّروا ونصروا وانتصروا. وما ذلك بعزيز على الله تعالى في نصره للأحفاد الجزائريين. وورد في المجموعة التي ارتضيناها ثلاث بدايات من هذا النوع؛ يقول الشاعر ببلعباس محمد المعروف بـ (ابن القايد)[12] :

بسم الله ابديت بالحمد والاشكار وألف اصلاه اعلى النبي محمد

قدر ما فى البر وفى البحـــار حوتوحيوان ذي روح أو جامد

محمد شفيعنا يـوم الفرار حبيب المولى اللي به انشهد

والرضا لأصحابه العشرة الابرار المبشرين بجنة الخلد

بوبكر وعثمان وعلال وعمر طلحة والزبيروسعيد وسعد

بن عوف وعبيدة والآل والانصار والصحابة وجميع فرسان المشهد

وكما يبدو من خلال هذا الاستهلال أنّ صاحبنا ذو ثقافة إسلامية واسعة، سيما أنّه كان

Scanned by TapScanner

من الوعاظ بالمسجد في منداس، كما يصرح في ختام القصيدة. وعلى هذا المنوال يقول الشاعر محمد بالماحي كذلك[13]:

بسم الله ابديت مبدانا والصلاة على النبي المختار
والسلام عليه نبينا والرضى لجميعهم الابرار
الله ينصر جيش دولتنا وتنصرهم يا كريم يا قهار
الجبهة والجيش قوتنا الله يحفظ يا بني الاحرار

وهذا المطلع كما سبق هو المهيمن على الاستهلال في القصائد كلّها، فمن القصائد التي اخترناها للدراسة ثلاث منها على هذا النوع من ثمان ـ 8/3 ـ أي نسبة كبيرة بلغة الرياضيات. وثالث الشعراء من ثلاثة هو عبد القادر بن شهرة حين قال عن ثورة التحرير 1954[14]:

ابديت في شاو الرسم[15] بسم الله من قال بسم الله كونها واجد
بها انطق من جاتوا الرسالة شفيع لشفاعة أمته واجد
صلّوا اعلى النبي يا العقلاء ها قوم واستيقظ بالك يا راقد

5ـ الاستهلال بالمخاطَب المجهول:

هذه البدايات ذات طابع خاص؛ حيث الشاعر الشعبي يدخل صلب الموضوع بمخاطبة [المجهول / السامع] ويعدّ هذا الاستهلال تلاعبا بالمخاطب ـ بفتح الطاء ـ والزمكانية (المكان والزمان) ، والقصد منه إنزال الانتباه؛ إذ كلّ سامع يظن أنّه هو المقصود بالخطاب رأسا، كقول بوزيان المازوني عن الثورة التحريرية[16]:

اسمع ليا انعيد لك شوف استخبر نحكي لك يا حبيب قلبي ما شفنا
ذا ربع اسنين وحرب الجزائر ذا صهد اكبير راه يلق غاشينا

ومن خلال المطلع يتبين لنا بوضوح أنّ الشاعر شارك في الثورة كما يحيه لفظ «ما شفنا»، الذي يطلق عليه النقاد المحدثون لفظ «أنا الضّمني» [17] زد على ذلك أن هذه القصيدة قيلت في السنة

Scanned by TapScanner

الرابعة من حياة الحرب التحريرية؛ أي في 1958. هذا النوع الاستهلال قد يأتي به الشاعر حين يكون في ضيق من أمره زمنيا، ولم يسمح له الوقت في تهذيب الاستهلال، فيضطرّ إلى ارتجالها مركزا على الحوادث والصعاب فقط، فكان السلاح بيمينه والشعر على فيه، فجمع بين القول والفعل، أوالسّيف والقلم كما يحلو للبعض ذلك.

وبعد الاستهلال يأتي حسن التخلّص بمعنى الانتقال إلى الموضوع أو صلب القصيدة بـ «وصل بعض الفصول ببعض، والأبيات بعضها ببعض، وإلصاق بعض الكلام على الوجوه التي لا تجد النفوس عنها نبوة «[18] وليس هذا موضوعنا الآن، وإنّما يجب التنويه به دون التعرض له بالدراسة. وبعد الموضوع الذي جاءت القصيدة من أجله وقيلت، ينتقل الشاعر الشعبي إلى الخاتمة أو النهاية. وهي الجزء الثاني من المقال.

ثانيا: الخواتيم:

النهايات كما يطلق عليها البعض هي بمثابة غلق لما سبق؛ فإذا كان المطلع حسن فيجب على الخاتمة أن يكون أحسن، كما قال الله تبارك وتعالى في محكم كتابه (خِتَامُهُ مِسْكٌ)[19]، وفي هذا فليتنافس المتنافسون من الشعراء الشعبيين في التفاضل على حسن الختام. ويلخّص صاحب العمدة هذه المعاني في قوله: «فهو(ضمير الغائب يعود على الخِتَام) قاعدة القصيدة، وآخر ما تبقى من السماع، وسبيله أن يكون محكما؛ لا تمكن الزيادة عليه، ولا يأتي بعده أحسن منه، وإذا كان أوّل الشعر مفتاحا له وجب أن يكون الآخر قفلا عليه «[20]. وإذا عدنا للنماذج التي نحن بصدد دراستها نجد تباينا مختلفا بينها في الخواتيم، وهي كالآتي:

1ـ الخاتمة الموقّعة:

الخاتمة الموقّعة هي التي يذكر صاحبها اسمه ولقبه وكنيته، أو اسمه ولقبه، أو اسمه كنيته، فهو حر في ذكر ذلك. وهذا ما أشار إليه الدكتور شعيب مڤنونيف في قوله:»...وأما توقيع القصائد، الذي يلازمه ـ حرف الهاء يعود على الشعر الملحون ـ في الغالب، فيمثل كذلك سمة لدى شعراء الملحون متقدّمين كانوا أم متأخّرين. ويكون التوقيع بالتصريح بالاسم كاملا مع ذكر الكنية...»[21] ويستدرك الدكتور مضيفا: « ويكتفي بعض الشعراء وهم يوقّعون قصائدهم بالإشارة إلى نسبهم أو قبيلتهم أو موطنهم»[22]. والغاية من ذلك كلّه هو إثبات شخصيته الفنية «على سبيل الافتخار وإظهار البراعة الشعرية»[23]. والشاعر يعرف مسبقا أنّ قصيدته ستنتقل من مكان لآخر من أفواه الرواة والحفظة، وانتشارها في الأسواق بين الحُلَق والبيوت حتّى. لهذا تجده حريصا الحرص كلّه على ذكر اسمه في

Scanned by TapScanner

خاتمة القصيدة أو ما يدلّ عليه بطرق مختلفة. وعلى هذا النحو سار شاعر الثورة التحريرية «بوزيان» المازوني في خاتمة قصيدته[24]:

لـكن حكم الالـه ذا ربـي قـدر العـز اقـرب راه غـادي يـاتـينا

من قوة الهموم راه ارجع شعر بوزيان الغريب وطنه مازونـة

ولسنا نعرف هل لفظ «بوزيان» هو لقبه أو اسمه أو كنيته؟ على عكس منطقته أو قريته وقتئذ «مازونة» معروفة إلى يومنا هذا والتي تقع شمال ـ شرق مدينة غليزان بالولاية نفسها اليوم.

وعلى نحوه سار الشاعر «بالعباس محمد» الملقب (ابن القايد) في ختام قصيدته، غير أنّه عاد إلى مدح النبي والشرفاء من سلالته ـ صلى الله عليه وسلم ـ في الختام للتأكيد على طهارة المجاهدين شرفاء النسب كانوا أم لا؛ لأنّ هذا العمل المبارك والمفروض على ذوي القدرة من الشعب كسبهم شرف الانتساب إلى الجزائر المسلمة، أيّا كانت قبيلتهم. يقول[25]:

الله يـرضي على الشرفاء الأبـرار من تـركوا تاريخـهم من الجد الجد

محـمـد بالقـايـد نـظـم ذو الاشعـار وأعلى وطـني.كـي الشـعـراء ننـشـد

في منداس أعشير نوري للحضار في الجامع للناس ذو وعظ ونرشـد

طالـب الغـفران مـن مولـى غـفار أنـا والمـومنين والـد مـع الولـد

والصلاة على الصادق بو الانوار سـيـد الكـونـيـن مـا كـيـفـه سـيـد

ولقد ذكر اسمه «محمد» ولقبه «بالقايد» ومنطقته «منداس» كعلامة تسويق لقصيدته وشعره من جهة، وإيجاد موضع قدم بين الشعراء الشعبيين ومنافستهم من جهة أخرى.

وعلى هذا المنوال كذلك سار الشاعر «عبد القادر المعسكري» والملقب بالعوفي، إذ يقول[26]:

الله يـرحم الشـهداء المجـاهـديـن اللـي هـان عـمـره الـذيـك الـدار

مولى الكلام عبد القادر يا سامعين ولـد الحـبيـن نـظـم ذو الاشعـار

راني نـضـيف فـيكـم يـا غـافـلـيـن ولي خاب[27] في الثورة عيب وعار

Scanned by TapScanner

الجديد في هذا الختام هو الترحم على الشهداء الأبرار، الذين جاهدوا حتّى أتاهم اليقين. ثمّ ذكر اسمه «عبد القادر» ونسب نفسه إلى الحبين؛ ولست أدري حقيقة هل يقصد والديه المحبوبين لديه أم دشرته أم قبيلته أم منطقته؟.وإن كنت أميل إلى والديه لما يحس الشاعر بالاعتزاز وهو يمدحهما، راجيا رضاهما، فخورا بالانتساب إليهما.

ولقد اقتفى سابقيه الشاعر «محمد بالماحي» في ختام قصيدته بقوله[28]:

ولد الماحي جاب الاوزانـا وعلى وطنه جاب ذو الاشعار

يتفكر ما صار يا خويا هـذا حكـم الـواحـد الـقهـار

واللـي حـب الـعـز يهوانا واللـي حـب الـذل ذا دفـار

والسيـد كامـل زنتـنـا نـدوهـا بـالـعـز والافـتـخـار

2ـالخاتمة بالتوقيع والتأريخ:

التأريخ الشعري ظهر في الشعر الفصيح أولا في عصر الضعف لدى جمهور النقاد، وهو أنواع؛ التاريخ الحرفي باستعمال حساب الحروف بعد لفظ التاريخ بطريقة حساب مشرقي وأخرى بطريقة حساب مغربي[29]؛ ولكليهما جدول خاص.

ولقد أخذ الشعر الملحون الجزائري هذا التأريخ الحرفي زمنا يزيد عن القرنين[30]، ثمّ بدأ في الزوال بعد الغزو الاستدماري الفرنسي تدريجا، حتى اندثر في الخمسينيات من القرن الماضي.

أمّا النماذج التي نحن بصدد دراستها تذكر التاريخ لفظا دون حساب الحروف والسبب لعله في كون هذه القصائد جاءت في بداية التخلّي عن هذا النمط من الحساب أو الظروف الصعبة المحيطة بالإنتاج الفني لها، أو جهل هؤلاء الشعراء الجدد للتأريخ الحرفي. يقول الشاعر المدني رحمون في ختام قصيدته[31]:

الـحـمـد لله ربـي خـلـصـــنـا على(الواحدة) فالليل الاخطار انتهت

معركة تسعة جوان تـورخـنـا سـبـعـة وخـمـسـين تم الـبـاقـيـات

في الشعر الملحون حسب لغتنا الـمـدني رحـمـون نـاظـم الابـيـات

Scanned by TapScanner

في هذه الخاتمة يتجلى التاريخ الصّريح كما نحب أن نسمّيه، وزاد صاحبنا التدقيق حين أرّخ لنهاية المعركة بذكر الساعة؛ الواحدة ليلا، لدليل على مشاركته فيها كما يتّضح من خلال السياق، وهذه الخاتمة تخفي شيئا آخر هو الجهاد والإبداع الفني ـ 1957/06/09 ـ ومن خلال هذه القصائد يذكر الشاعر جزءا من حياته ويدونها فنيا، وكأنها سجل بيوغرافي، يتنافس فيه مع غيره من الشعراء. وهذا التنافس بين الشعراء غفل عنه كثير من الدارسين للأدب الشعبي عامة والشعر الشعبي خاصة. إذ يسعى الشاعر حثيثا على هيكلة القصيدة من البداية إلى النهاية، دون إهمال لأي شيء في بنيتها كي تصبح وثيقة تتجلّى من خلالها جوانب من تاريخ حياة الشاعر، ومن تاريخ تطور شعره؛ من رخاوة إبداعه في صباه إلى اشتداد عوده في كبره. ولا سبيل في ذلك إلا بتأريخ هذه القصائد.

وعلى منواله يقول الشاعر عبد القادر بن شهرة[32]:

فالألف والثلث ميا المثالا أو سبعا وسبعين أمتورخ الناشد
والله ولا زيدت مسالا والعالم أبغيه خالقي شاهد
ربي أعدونا تعطيه شعالا ومصيبت القصي سارع فاصد
القضا أمحتم أمصيبة نازلا وكر العدو ما يبقى أهنا واحد

استعمل الشاعر التاريخ الهجري لتدوين تاريخ القصيدة ـ 1377هـ ـ وهو ما يقابله ـ 1958 ـ بالتاريخ الميلادي. وجاءت الخاتمة على شكل دعاء على العدو ورجاء للمجاهدين بالنصر المبين.

3ـ الخاتمة بالتضاد:

ومن الخواتيم في هذه النماذج المدروسة ما جاء على ما حققته الثورة من نصر واستقلال، وخيبة العدو والانهزام. فجمع الشاعر في الخاتمة بين الضدين، كما يقول الحاج أحمد ولد البشير[33]:

الجزائر نجحت راهي دارت أولاد سلكوها بالهناء والعز جيالـيه
سلكوها بالدم وراوا العدو صاد لبسوا له غنسا رادى الحموم طاليه
ما بقا عزهم ولا ابقاتله له ابلاد المخير يدي عنقوا اذا اسلك بيه

الله يرحم الشهداء

تبدو أنّ القصيدة قيلت بعد الاستقلال، وصاحبها لخّص الثورة ذاكرا الانتصار الجزائري المجيد وهزيمة فرنسا النكراء، دون تاريخ أو توقيع.

Scanned by TapScanner

4 ـ خاتمة عود على بدإ:

وقريب منه جاءت خاتمة قصيدة الشاعر «قزول الميلود» غير أنّها انتهت بحمد الله والصلاة على رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كما بدأها أول مرة، وحملت التضاد «من يتعدى على الوطن سنهزم» ؛ وانهزام أحد ـ هنا فرنسا ـ يدل على انتصار آخر ـ هنا الجزائر ـ [34]:

انرحموا على الشهداء كـــــــذا قـــال الشـــاعر
بالحمـد نختم القصيدة والصلاة على الحبيب الطاهر
كما ابديتها فالمبـدا قولي اصحيح راني نشكـر
الوطن جميع من يتعدا فـي الحرب لازم الا يخسـر

وفي الأخير يمكن أن نستنتج من المقال:

1ـ الثورة التحريرية الكبرى صاحبَها الشعر الشعبي الملحون من بدايتها حتى الاستقلال.

2ـ بناء القصيدة الشعبية التحريرية شكلا ومضمونا.

3ـ القصيدة الشعبية التحريرية سجلت بعض المعارك التي غفل عنها المؤرخون.

4 ـ القصيدة سجل فنّي لتاريخ صاحبها.(البيوغرافية)

5ـ بداية القصيدة الشعبية أنواع فنية يتبارى فيها الشعراء.

6ـ الخاتمة أنواع فنية هي الأخرى.

7ـ القصيدة الشعبية تتجاوز الأدب إلى غيره من العلوم الإنسانية.

8ـ جهل شبه كلّي لحياة الشعراء يضر بالقصيدة؛ لا سيما الظروف المحيطة بالعمل الفني، من زمان ومكان والمستوى الثقافي للشاعر...

9ـ ضرورة تسجيل الحاضر من القصائد الشعبية فونولوجيا ـ صوتا من صاحبها ـ لأنّ ذلك يساعدنا على الدراسات اللسانية وتحليل الخطاب الشعري.

الهوامش

1ـ عبد السلام المسدي: النقد والحداثة، ط1، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1983، ص43.

2ـ جلول يلس و أمقران الحفناوي : المقاومة الجزائرية في الشعر الملحون، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1975، ص ص121ـ145.

3ـ نفسه، المقدمة.

4ـ المقاومة الجزائرية، ص 121.

5ـ نفسه، ص 131.

6ـ أحمد ڤنشوبة: البناء الفني في القصيدة الشعرية الجزائرية، منطقة شمال الصحراء أنموذجا، 1850ـ1950، دار سنجاق الدين للكتاب، 2010، ص 147.

Scanned by TapScanner

7ـ المقاومة الجزائرية، ص 126.
8ـ الواضح والمعلوم عند الناس أن لفظ «الجزائر» في الشعر الشعبي تنطق «الجزاير» بإبدال الهمزة ياءً، وخاصة البدو منهم. وهذا ما نميل إليه، وليس كما هو مدوّنا بالكتاب الذي نعدّه مصدرا لهذه القصائد المدروسة.
9ـ صحيح مسلم، بشرح النووي، مكتبة الإيمان، القاهرة، ج 1، شرح المقدمة، ص 48، وأضاف الحمد لله بدل باسم الله.
10ـ الطاهر بومزبر: التواصل اللساني والشعرية، مقاربة تحليلية لنظرية رومان جاكبسون، منشورات الاختلاف، والدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر ـ بيروت، ط 1، 2007، ص ص 23ـ 34.
11ـ مجموعة من الأساتذة تحت إشراف محمد قاضي: معجم السرديات، الرابطة الدولية للناشرين المستقلين، ط1، 2010، ص ص 80 ـ 85.
12ـ المقاومة الجزائرية، ص 129
13ـ نفسه، ص 134.
14ـ نفسه، ص 144.
15ـ شاو الرسم تعني هذه القصيدة أو هذا القول.
16ـ نفسه، ص 124.
17- Le «je» implicite. Dictionnaire de Linguistique, Larousse,1974,pp 467 /468.
18ـ القارطجني أبو الحسن: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تح محمد الحبيب بن خوجة، دار المغرب الاسلامي، ط 2، بيروت لبنان، 1981، ص 200.
19ـ القرآن الكريم: من سورة المطففين، من الآية 26، رواية ورش.
20ـ ابن رشيق القيرواني، أبو علي الحسن: كتاب العمدة في نقد الشعر وتمحيصه، تح عفيف نليف حاطوم، دار صادر، ط 2، بيروت لبنان، 2006، ص 201.
21ـ شعيب مقنونيف: مباحث في الشعر الملحون (مقاربة منهجية)، منشورات مخبر عادات وأشكال التعبير الشعبي بالجزائر، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر، 2003، ص 130.
22ـ نفسه، ص 132.
23ـ نفسه، ص 134.
24ـ المقاومة الجزائرية، ص 125.
25ـ نفسه، ص 130.
26ـ نفسه، ص 133.
27ـ أغلب الظن عندي أنّ لفظ خاب تحريف، وصوابه خان حتّى يتلاءم المضموم، وتتجانس الموسيقى الداخلية مع لفظ هان ←——— اللي هان... ثمّ اللي خان.
28ـ المقاومة الجزائرية، ص 141.
29ـ مباحث في الشعر الملحون الجزائري، ص 121 و ص 126.
30ـ نفسه، المبحث الرابع.
31ـ المقاومة الجزائرية، ص 123.
32ـ نفسه، ص 145.
33ـ نفسه، ص 128.
34ـ نفسه، ص 143.

Scanned by TapScanner